

الفصل الخامس والعشرون

ترن.. ترن.. يا عبد الشكور.. مشكورا.. هاتلي.. اسم صديقك المشهور..! واللي عمل عملية الزرع الإشعاعي في مستشفى الإسماعيلية فرع المانيا.. حاضر يا سعادة الباشا..! خيرك علينا ومغرقنا..! وإن شاء الله تغرق وتريحنا..! ده مضمون مكالمتي واتصالي بأحد اقاربي..؟ ترن.. ترن.. يا كابتن عز.. إيه حكايتك وعملت.. إيه ومين.. كان ولي أمرك في حياتك وعلاجك وشال همك..! الحقيقة يا باشا دكتور هایل وفنان وتلف إيديه بالحريير والكستان.. اسمه د سيف الإسلام.. اديني نمرته قوام.. لحسن أرميك في حله البدنجان..؟ حاضر يا باشا ما تتعصبش.. وأجيب نمرته لسيادتك قوام..! ترن.. ترن.. دكتور سيف! نعم مين؟ أنا اللواء سعيد أمين..! معندناش حد بالاسم ده..! من أولها بهوقة.. لا..؟ مفيناش من الزحلقة..! (اطلب في وقت آخر)..؟ الله يخربيتكم يا بتوع شبكات الاتصال (موبينيل).. ترن.. ترن.. أنا.. أيوة يا دكتور.. معذرة لقطع الاتصال.. عشان احنا بالنهار.. والدنيا زحمة ومولعة بالحر وسايحة وبتتهار.. الدكتور.. لا مفيش حاجة أنا في الفريزر بتاع المغارة والاسانسير والشبكة فيها طراوة.. سعادتك أنا اللواء سويلم من طرف الكابتن قبطان طيار بحري.. عز..! سيادتك بتقول عز.. أيوة يا دكتور..! اللي كان عندي عيان وتعبان.. وخف وبقي جعان..؟ بالضبط.. سعادتك ونفسي..

يا دكتور آكل من عند سيادتك وأبقى شبعان!! مش حاينفع الكلام بالتليفون وتشرف من القاهرة للإسكندرية قوام.. عشان باين عليك بتحضر وهفتان..؟ امتى تنفيذ ذلك الكلام..؟ يوم الاثنين الساعة اتين بالعيادة ٨ ش كلية الطب الدور السابع على اليمين.. قبل الميعاد بعشر دقائق كنت أمام العيادة.. وشاهدت بالصدفة مشهد غير متوقع.. أحد العيانيين ذو الميول السياسية بالملابس الرسمية المدنية الكاملة عامل عيادة موازية (كالحكومہ الموازية).. ومتحمس ومنفعل على نظام العيادة الرسمي..؟ ومعاه كشف بأسماء المرضى والذي جمع ورتب أسماءهم من تحت من مدخل العمارة بأسبقية حضورهم..؟ وقائلا لهم هو ده الترتيب الرسمي لدخول المرضى ولا يعتد بترتيب مسؤلي العيادة..؟ وأعلن العصيان.. إيه ده الخبلان!.. وقامت خناقة بين مرضى العيادة الحاجزين بمعرفة مسؤليها المعتمدين من هيئة الفيفا الدولية..! وبين الأخ اللي كان قاعد بكشك عم حنفي مسؤل الأمن بمدخل العمارة.. وطاخ وطايخ.. كل ده حصل خارج وأمام مدخل العيادة المقفول حتى الآن..! وقلت أنا روحت من أولها في خبر كان..! إلى أن أتت في الميعاد تماما.. سيده ذات مهابة وصارمة وحازمة..؟ ومعها العصاية الكهربائية..! وفتحت العيادة والمرضى هرولوا بالدخول مثل سلوك دخول الجمعية التعاونية الاستهلاكية..! وبنظره وإشارة منها أوقفت هذه المسرحية العبيثة

ومعها طاقم إشراف العيادة.. كله انتظم وانصاع والتزم..! وألغوا عبث ترتيب الحكومة الموازية ورئيسها ووضعوه في حجمه ودوره الطبيعي.. وانضرب وابتسم..! دخلت العيادة أعجبت بجمالها وحسن ترتيبها وأثاثها ومفروشاتها ولوحاتها وإضاءتها وديكورها.. تحس إنك في أحد أركان البيت الأبيض الأمريكي (والذي دخلته مرتين.. وقابلت الرئيس جورج بوش الأب وبرباره الأم وبالصدفة كان موجود يلتسين الرئيس الروسي في يونيو ١٩٩٢ وبالمناسبة كان بيترنج وكأنه لسه قايم من النوم ومنتح.. ودي لها قصة لوحدها..!) وكانت مديرة العيادة مدام آمال كأنها المتحدثة الرسمية للبيت الأبيض الأمريكي بشخصيتها وخلقتها وحزمها.. وكان مساعدها والشفت لها الابن علي الطيب والخلق.. لكن كان كثيراً ما يحزر برشام (كبرشمامات الغش في الامتحانات).. إيه ده يا علوة.. ده كشف أسماء المرضى.. يا ابني ما عندك الصفحة فاضية.. إيه رأيك نديك اسم حركي عشان المخابرات المعادية لحمايتك.. إيه يا أنكل.. (علي منافستو) واللي بييجي عليك ربنا يهدو..! لا يا عمو..! أصلي أنا خريج كلية الاقتصاد والتجارة والمحاسبة..! وأحب التوفير..! طب ومين كمان.. ابننا الخجول واللي ماشي جوه الحيط.. شريف..! أما الذي ليس له مثل.. فهو العملاق محمد الطويل والتخين والتقيل.. وهو عبرة وعظة..! لأي أحد من المرضى أو المترددين لو وزوا عقله بأي خروج عن

النظام.. كبلو كامين المباحث عندنا العظام..! وأنا متهيألي إنه اتولد بالعمارة عند صب أرضية الخرسانة وسابوه طول وتضخمّ ونما.. ورموا عليه خرسانة والسقف.. دون أن يخرج من العيادة حتى تشطيبها وفرشها.. حتى الآن..؟

والمرح مهياً الآن لدخول البطل والنجم الكبير.. دكتورنا العظيم.. ودخل الآن.. الدكتور العالمي والبروفيسور الجميل الأجنبي.. وحلو الطلة وبهي الطلعة.. أ.د. سيف الإسلام محمود النعماني.. بهر الجميع بكاريزمته.. وسحر الجالسين بطلته..! كان طويل القامة وجميلاً.. ولون شعره ناعم وفضي وقصير.. ولون عينيه أخضر على أزرق فاتح كالنيل! ويرتدي نظارة طبية بيضاء تضي عليه الهيبة والبهاء والأهمية..! ويرتدي بدلة بالكرافت كاملة.. وعلى كتفه الشمال اللابتوب مائلاً.. وشبه وأحلى من أخونا العقيد طيار والممثل الجميل (إيهاب نافع والذي كان له معي لقاء طويل بمكتبي بالمرور عام ١٩٨٢ وقال لي حكايات وقصص جميلة شيقة وخطيرة وسرية ولا يعرفها أحد مع الرئيس مبارك عندما كان نائباً للرئيس السادات ودي عايضة حلقات وتدفعوا بالآلاف الذهبيات) السلام عليكم.. ما شاء الله.. ما شاء الله.. الكل.. الله أكبر.. الله أكبر..! والنبي كمان..! أعد..! وعليكم السلام..!

الأستاذ سعيد سويلم رقم واحد.. اتفضل..! موسيقى
تصويرية..! إيه أستاذ دي..؟ شايفني بعمة وكاكولا (أو سفن
أب).. لا.. وألف.. لا.. إنها الحرب للاستهانة.. وسأقتحم العيادة
والاستانة..! حتى لو دغدغت ألف أجزخانة..؟ لو سمحتم.. لا
بد من تعديل المسمى إلى اللواء /سعيد.. اللي بيودي بعيد..؟
أسفين يا سويلم يا باشا..!

دخلت وسلمت على المبهر والجميل الأستاذ الدكتور العظيم..
وحكيت الحكاية وبألف رواية

ثم باغتني بسؤال مفحم وخطير..! كل من مريت عليهم
بالخارج أو الداخل من الأطباء..؟ لم يجروا لك عملية اكتشاف
بالمنظار..؟ لا يا دكتور..! ليه..؟ أقولك الصراحة يادكتور..! أنا
أتميز بالشخصية المريحة.. وكمان صريحة.. واللي على قلبي على
لساني.. وما بخافش.. وجوايا زي برايا..؟

ضحك وقال: مش قصدي..! أقصد محدش عمل منظار
استكشاف في معرفة في الداخل والإعماق إيه في المسالك والمسببة
تلك المهالك.. يا دكتور أنا أعماقي طيبه زي نوايا المهيبة..؟ بيه
مش حانخلص من هزارك وخفه دمك..؟ وتضيع وقتي ووقتك..
افتكرت أغنية (شادية والاطرش) يا سلام على حبي وحبك..
قلقت..! طب يا دكتور المطلوب إيه..؟ مفروض تعمل عملية

استكشاف بالمنظار والكشاف.. طب أنا معيش حجارة أو بطارية؟
دي عليا..! طيب! امتى أعملها.. لو عايز نبجك النهارده ونعملها..
في العيادة يا دكتور.. أيوة يا سيادة اللواء المشهور..؟ طيب على
خيرة الله.. أروح أتفسح بالحنطور.. وآجي لسيادتك بعد العيادة
والطابور.. لا ما تتحركش من هنا وحانعملهاك الآن.. وكان داس
على الجرس وجاب محمد العملاق.. شفته كده.. ورفعت المنديل
وقلت I surrender، أنا استسلمت..؟

أخذت الحقنة وريحت ثم دخلت غرفة المفرقات.. وبدأت
العمليات حتى الساعة ٩م..

فوقت.. الساعة ١١م.. خير يا دكتور.. البقاء لله..! في إيه..
في اللي فات من أحداث..! ونبدأ في التحضير للعملية الكبيرة
.. اسمها إيه وتقرب لمن.. اسمها TUR وتقرب لعزرائيل عدل .
طب يا دكتور الكل يقول دي risk ليا ولسيادتك.. طب
ملهاش اسم تاني نقدر نعملها ونضحك عليها بيه..؟ ماشي..
بلازما فبورايزشن.. أيوة كده معقول.. طب ممكن سعادتك
تكتبهالي.. بالإنجليزي والصيني.. اتفضل.. وإيه كمان.. حانعملها
فين.. في مستشفى السجينى للأمراض العصبية في شارع لاجيتيه
بالإبراهيمية.. امتى يا دكتور؟.. أنا مسافر مؤتمر بأمريكا وجاي
بعد ثلاث أسابيع.. على خيرة الله..! كنت باخد دواء بلافكس..

والأطباء بمستشفى الشرطة كانوا عايزين يرجعوا سيولة الدم لحالتها العادية.. فصلحوا الاكس.. وأعطوني لمدة ستة أيام حقنتين يوميا ليل نهاراكسلاكسين.. والله الحقنة زي حقن الشُّحار طويلة الجسم والمكبس والسن وبُخض.. مثل الحقنة التي يعطوها للحصان والحمار.. لما يَحْرِنُ وَيَغْضَبُ وَيَبُوزُّ أو ينهار.. من أشكال وعمایل البني آدمين فيه واللي بيه محيطين..؟ وكنت أديها لنفسی في بطني بزواية ٤٥ وأدخلها في بطني وأقرأ جزء قرآن لغاية ما تخش كلها تمام..؟ وتطلع من الناحية الثانية متيةوزعلانة وملوية..! عاد الدكتور بسلامة الله إلى الوطن.. وذهبت لمستشفى السجيني(على السماك).. لإجراء العملية الهامة والخطيرة والتي شكك فيها الجميع محليا وخارجيا من كل الدكاترة والمستشارين حتى من الدكتور زيكي الأمريكي الجنسية والبولندي الاصل والذي أجرى لي العملية الأولى براكي ثربي في كليفلاند كلينك فاونديشن بولاية أوهايو بأمريكا..! دخلت المستشفى فجر يوم الثلاثاء.. ووجدت ميس بدرية ماسكة العصاية وبتمم على المرضى ويتكلم نفسها وبتقول فيه واحد طفشان ومجهول.. ولازم أجيبه على طول.. لأن الدكتور.. حايقطعه.. لو عمل فيها مهم أو مشغول..! عشان عليه الدور.. وحانجيب أجله بالعرض وبالطول..؟ وبالعصى.. غيابه مش حايطول.. دخلت.. لقيتها بالعصايا.. فلعبت معاها الاستغماية..! لغاية ما راودتها..

وأخذت السبرتايه .. وعملت لها قهوة بالريحة والجاز .. ودعيت يا رب تهدأ .. وتضيع العصايا وتحتمس .. وما تلاقيش حاجة تخوفني بيها أو انداس ..! شربت القهوة وعدلت الطاسة .. وشربت من الطاسة .. القهوة بالسبرتو والاسبرين ..! ها .. سعادتك اللواء .. المسكين .. واللي جاي من شارع التسعين .. اتفضل .. عشان تاخذ وش لاكيه تلميع .. وأجهزك الحين .. عشان الدكتور جه .. ويحضر لعمليتك بالتسخين .. مع طقم الدكاترة المعاونين .. استر يا رحمن يا معين ..! !

أخذني بالنقالة .. عملاق من قوم عاد .. البعاد .. وبرق في وشي .. غمضت ..! ورميت عليا الملاية وانغطيت ..! ولوشي .. خبيت ..! وخرمت خرمين في الملاية لكي أشاهد ما سيكون من رواية ..! وحكايات ..! دخلوني على غرفة العمليات .. لقيت السيوف والسنج .. والساطور والجفت والمشارط .. والصواني والحلل .. والمحشيات والممبار والمخللات .. وفي الأرضية بالغرفة .. فيران وصراصيل وقطط .. بمضارب التتس .. يلعبوا ماتشات .. وبينهم شبكات .. وكل ده تهيئات .. من قبل ماخذ البنج .. من الخوف والذعر .. يا ولاد ؟ أومال لو اتبنجت .. إيه اللي حاشوفه من حاجات ..! بقيت في الغرفة المرعبة وبقالي قبلها يومين ما شوفت النوم .. وكان اللوم .. على الأخ العملاق من قوم (عاد) .. وبرضه كان اسمه (عاد) وكل نظراته رعب وإرهاب وإجبار وتهديد

ووعيد.. وأنا اللي اسمي مفتش مباحث.. كلي خوف وواجس من أخونا (عاد) ! دكتور البنج قعدني على السرير المتحرك واللي بيطيّر.. وثبته بكلابش ونش المرور.. من غير ما يتحرك أو يدور..! وقالي خد يا حبيبي البونبونيا ديه وغمي عينك يا عنيا..! لا.. أنا ما اتخلقش اللي يستغفني..! أو حتى يضحك عليا أو يلاعبني..! سعادتك يا دكتور حاتعمل إيه.. أنا حاديك بنج نصفي.. له..؟ حسب تعليمات وإبداعات الدكتور سيف.. لتلافي خطورة البنج الكلي في هذه العملية على قلبك.. لأنه الآن في مرحلته الضعيفة والمتدهورة..! عقب الذبحة الصدرية لك السابقة..! عفارم عليكم الدكتور سيف.. العالمي والأسطورة والذكي.. طب يا دكتور فيه خيارات..؟ يبقى الباشا اللواء اللي قدامي ويبهرج.. حا يكون مات..! طب بلاش ديه.. ممكن.. ربع بنج مشكّل..؟ سادة من غير دهون أو إنزيمات..! يا حبيبي الدنيا بتسرقنا.. والوقت فات..؟ ولازمن.. لازمن.. البنج بالمدفع (الإبرة ديه).. وإلا حاستعين بصديق وأشار على العملاق (عاد).. بصيت (عاد) ملحقتش أفرص.. ولاعيني مصارعة وجابني على السرير.. لمس الأكتاف..! وأخذت حقنة القرن..! اللي فات..! بدا دكتور البنج يبصلي.. وأنا متنح وببجلقوا.. وتحدي.. ومفيش حد قدي..! واستلقت على ظهري.. وبالعافية نيوموني.. ودخل أسطورة وسقراط الطب العالمي.. العزيز والعظيم الغالي دكتور

سيف غرفة العمليات مع تصفيق وهتاف كل المدعويين على الذبيحة المليحة الباشا سويلم الحادي عشر.. والذي نصف جسمه الأسفل انحشر وارتفع.. في قوائم السرير في المنتصف.. وتم رفع الرجلين.. أنا بنصفي العلوي صاحي وحيي.. والنصف الأسفل بيستهبل ونايم وعلياً جيي..؟ إزاي.. أنا حاسس ومتأكد إن رجلياً على أرضية السرير متمددة وراقدة بس مش حاسس بيها وميتة..؟ لكن شايفها مرفوعة ومقموصة وزعلانة وساكطة ومقددة.. يمكن قرينها المخريطة..؟ وإذ فجأة..

ماذا حدث في غرفة العمليات.. والعملية بدأت والكل من يقظتي وصحيانني وبحلقتي في معاونين لدكتورنا الحبيب.. ومن حركاتي الكل أعلنوا استقالتهم بعدها من عملهم والجميع تاب.. ماذا حدث يا شطار..؟ والذي لم يخطر على بال.. وفي أثناء عملية عالمية نموذجية لسقراط الطب في العصر الحديث دكتورنا العملاق والعظيم والعالمي.. ماذا حدث..!

